الكتابة العربية في بلاد المغرب، الخط المغربي "أنموذجا"

د.إسماعيل زغودة / د.عبد القادر بعداني
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف - الجزائر

1- تعريف الخط والكتابة.

الخط لغة : الطريقة من خط يقال: خطط الأرض والبلاد جعل لها خطوطا وحدودا، خط المكان قسمه وهياً للعمارة، وخط الحواجب وغيرها طلاهما بالخطوط. وخط الشيء: خطه التخطيط في علم الرسم والتصوير، فكرة مثبتة بالرسم، أو الكتابة في حالة الخط تدل دلالة تامة على ما يقصد في الصورة أو الرسم أو اللوح المكتوب من المعنى الموضوع. والخط السطر، والكتابة ونحوها مما يخط.¹

الخط اصطلاحاً: تصوير اللفظ برسم حروف هجائه، وكتابة الحروف العربية المفردة والمركبة، بقالب الحسن والجمال. فالخط إذن: "هو علم يعرف به أحوال الحروف في وضعها وكيفية تركيبها في الكتابة"² الكتابة في اصطلاح الأدباء: هي صناعة الإنشاء .

وفي اصطلاح الفقهاء: عقد بين السيد وعبدته على مال يدفع ليعتق.

والكتابة والكتب والكتاب مصادر كتب، إذا خط بالقلم وضم وجمع، يقال كتب قرطاسا، أي خط فيه حروفا وضمها إلى بعضها.³

2- نشأة الخط العربي:

مرّ الخط بمراحل متعددة عبر الزمن، فقد عرف في البداية بأشكاله الصورية، وتطور شيئا فشيئا حتى أخذ شكل الرمز أو الحرف المعبر عن الأصوات المختلفة لكل لغة. وكان لبعض الأمم خطوطا ميزتها عن غيرها وتواصلت بها لنقل ثقافتها وحضارتها للأجناس الأخرى. وكانت مسيرة الخط تسير عبر العصور لجعل دور الخط ينتقل من الوظيفية إلى الجمالية وتزيين الحروف والكلمات، وشكل الخط العربي سلسلة في تطور فن الخط والكتابة.

عرف العرب الخط من زمن بعيد، إذ اكتشف العرب في شبه الجزيرة العربية كتابات عربية، مدونة بخط المسند، وهو خط أهل اليمن المعروف بالخط الحميري، وبقي هذا الخط متداولاً في الجزيرة العربية بعد الإسلام، بين فئات قليلة من أبناء العرب، بينما اتخذ أهل مكة قلماً خاصاً سموه القلم العربي أو الخط العربي، أو الكتاب العربي، أو الكتابة العربية تمييزاً له عن المسند خط أهل اليمن. وتضمنت الخطوط

والنقوش التي اكتشفها العلماء في شبه الجزيرة العربية كتابات نبطية وعربية ساعدت العلماء على معرفة التطورات الحاصلة للخط العربي. وهذه النقوش هي:

01- نقش أم الجمال الأولى وكان هذا سنة 250 م في شرق الأردن.

02- نقش التّمارة سنة 328 م.

03- نقش حرّان سنة 568 م.

04- رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن صاوي⁴.

وقال المقرئزي: "المسند هو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد."⁵ وقال الأمير شكيب أرسلان: "

يذهب علماء الإفرنج ومنهم الأستاذ المستشرق مورتيز الألماني إلى أن أصل إيجاد الكتابة بالحروف بعد الكتابة الهيروغليفية، كان في اليمن، وهو يعتقد أن اليمنيين هم الذين اخترعوا الكتابة وليس الفينيقيون هم الذين اخترعوها كما هو الرأي المشهور، وهو يستدل على هذا ويقول: إن الفينيقيين إنما بنوا كتابتهم على الكتابة العربية اليمنية، ثم إن اليونانيين أخذوا الكتابة عن الفينيقيين، وعنهم أخذ الرومانيون، فيكون العرب هم الذين أوجدوا الكتابة في العالم، وبهذا الاعتبار هم الذين أوجدوا المدنية.⁶

وكتب القرآن الكريم بالخط العربي، أي بقلم أهل مكة، وتخلّو عن المسند، فنسيه العرب إلى أن جاء المستشرقون فأحيوه، وجاء بعده الخط الإرمي، نسبة إلى قبيلة "إرم" ثم جاء القلم الشمودي، والقلم اللحياني والصفائي⁷.

ومحجىء الإسلام تطور هذا الخط، بفضل دعوة القرآن الكريم إلى القراءة والكتابة، ولا يخفى على أحد أن أول آية نزلت هي آية "اقرأ" من سورة "العلق" ومن يومها والرسول الكريم يدعو للقراءة والكتابة ويحث على التعلم للتخلص من الأمية، وعلى هذا يعتبر الإسلام دافعا قويا لتطوير الخط العربي، إذ أصبحت الأمة العربية بمعية الأمم والأجناس الأخرى صانعة لفنون وعلوم ساعدت في تقدم الحضارة الإنسانية.

وقال ابن خلدون: " ولقد كان الخط العربي بالغا ما بلغه من الأحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترّف، وهو ما سمي بالخط الحميري، وانتقل منها إلى الحيرة، لما كان بها من دولة آل المنذر، نسباء التبابعة في العصبية، والمجددين لملك العرب بأرض العراق، ولم يكن الخط عندهم من الإجداد كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك، ومن الحيرة لقنه أهل الطائف وقريش فيما ذكر"⁸.

أصل الخط العربي:

يذكر المؤرخون أن أصل الخط العربي ثلاثة:

أ- الخط المصري القديم المتمثل في

- الهيروغليفية.
- الهيراطيقية.
- الديموطيقية.

ب- الخط الفينيقي: مارس الفينيقيون التجارة واختلطوا بالمصريين فتعلموا حروف كتابتهم.

ج- الخط المسند وهو عدة أواع:

- الخط الصفوي.
- الخط الثمودي.
- الخط اللحياني.
- الخط الحميري.⁹

أنواع الخط العربي:

نشأ الخط العربي نشأة عادية بسيطة ثم تطور عبر الأزمان، إلى أن وصل إلى درجة الإبداع وابتكار خطوط جديدة، فقد ابتكر ابن مقلة خط الثلث، ثم جاء ابن البواب فزاده جودة وجمالا، واخترع ممتاز بك التركي الرقعة، وهكذا استمرت رحلة الخط جودة وتطويرا إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن.¹⁰

وسميت الخطوط العربية بأسماء المدن والأشخاص أو الأقلام التي كتبت بها.

وأنواع الخط العربي هي:

- 1- الخط الكوفي.
- 2- خط الرقعة.
- 3- خط النسخ.
- 4- خط الثلث.
- 5- الخط الفارسي.
- 6- خط الغزاة.
- 7- خط الديواني.

8- خط الطغراء.

9- خط التاج.

10- الخط المغربي.

الخط المغربي:

جاء الخط المغربي نتيجة لتطور الخط الكوفي، وأصبح من الخطوط المحلية في المغرب، ورفضه خطاطو مصر والشام والعراق وفارس ولم يقبلوا عليه. ويمتاز هذا الخط باستدارة حروفه استدارة كبيرة، وازدهر هذا الخط وانتشر في الأندلس في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وأصبح طاغيا على بقية الخطوط الأخرى وانتعش في القيروان.¹¹ الخط المغربي هو من أهم أنواع الخطوط العربية وأقدمها عهدا وأكثرها انتشارا، فانتشر الآن في جميع أنحاء أفريقيا الشمالية " غير مصر وبعض جهاتها الوسطى والغربية" وقد كان مستعملا في أسبانيا في القرون الوسطى، ولم يزل كذلك حتى أوائل العصر الحديث.¹²

وتولد عن الخط المغربي خط التمبكتي أو السوداني، وانتشر في السودان وفي أواسط أفريقيا. ويوجد الآن أربعة أنواع من الخط المغربي هي:

- 1- الخط التونسي وهو يشبه كثيرا خط المشاركة إلا أنه يتبع طريقة المغاربة في تنقيط حربي ف، ق.
- 2- الخط الجزائري.
- 3- الخط الفارسي.
- 4- الخط السوداني.¹³

يرمز الخط المغربي إلى روح الحضارة الإسلامية التي تتمتع بها شعوب منطقة المغرب، فهو تعبير عن هوية الأمة الإسلامية وارتباطها بالعلم والثقافة والقرآن الكريم بما تعكسه من عمق تاريخي وارتباطه بالأمة العربية والإسلامية ويعتبر أكثر خطوط العالم مرونة وجمالا.

إن ظهور اللوحة الخطية لعب دورا أساسيا في تعزيز الإحساس بالقيمة الفنية والجمالية للخط، وليس فقط باعتباره كتابة وظيفية.¹⁴

يشمل الخط المغربي مجموع خطوط بلاد المغرب والأندلس، ويطلق مصطلح الخط المغربي أيضا على الخطوط التي نشأت في المغرب الأقصى.

أقبل الأمازيغ على تعلم الخط المغربي بموازاة مع حفظ القرآن وتعلم مبادئه وتعلمه وقيمه.

العوامل التي ساعدت على انتشار الخط العربي لدى المغاربة.

- 1- حماسهم الديني.
- 2- ارتباط الخط عندهم بقداسة القرآن الكريم.
- 3- انخراط المجتمع المغربي في الثقافة العربية الإسلامية.
- 4- استعمال الخط في الإدارة وفي التحصيل العلمي.
- 5- الحاجة الاجتماعية والثقافية للخط نظرا لغياب خط محلي للمغاربة.

أنواع الخط المغربي.

1- الخط الكوفي المغربي.

هو من الخطوط التي تستعمل للزينة والتجميل، ولا يستعمل في الكتابة العادية. وهو أصل لبقية أنواع الخطوط المغربية الأخرى، ويظهر استعماله على النقود وفي المصاحف القديمة، وفي الجبس على جدران المساجد والمدارس العلمية العتيقة، وقبور الملوك وأضرحة الأولياء.

2- خط الثلث المغربي.

مقتبس من الثلث الشرقي ويستعمل للتزيين فقط، كزخرفة المساجد والقبور والمدارس العتيقة، ويستعمل حاليا لكتابة العناوين في بعض المجالات.

3- الخط المبسوط.

يتميز بالوضوح وسهولة القراءة، واستعمل قديما في كتابة المصاحف، وكان أولها قد طبع عام 1296 هـ/ 1879م والمصحف الحسيني المطبوع عام 1 والمصحف الحسيني المسبوع المطبوع عام 1417/ 1997م. وبه يتم تعليم القرآن الكريم في الكتاتيب.

4- الخط المجوهر.

تفرع هذا الخط عن الخط المبسوط، تمتاز حروفه بالصغر والتقارب، وسمي بالمجوهر تشبيها له بعقد الجواهر، انتشر في المغرب لسرعة الكتابة به، وأصبح خطأ للكتابة العادية، وأصبح هو الخط الرسمي المعتمد في المطبعة الحجرية.

5- الخط المسند.¹⁵

وهو ينحدر عن الخط المجوهر، ويعرف أيضا " بالزمامي " ويستعمل في التّقايد الشخصية والرسوم العائلية، ولا يستعمل في الكتب العلمية.

الخط المدمج

ليس هذا الخط نوعاً من أنواع الخطوط المغربية، وإنما هو خط مدمج من خطين من المبسوط والمجوهر مثلاً، أو المجوهر والمسند، أو المبسوط والمسند، وهكذا.

الهوامش:

- 1- ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ط 1، ص: 244.
- 2- تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1939، ص 7
- 3- ينظر: نفس المرجع، ونفس الصفحة.
- 4- ينظر: الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، عمر آبا ومحمد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ط 1، ص: 20.
- 5- تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1939، ص: 18.
- 6- تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1939، ص: 18.
- 7- ينظر: المفصل من تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، ط 2، 1978، بيروت، ص: 153، 162.
- 8- تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1939، ص: 18.
- 9- تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط، المطبعة التجارية الحديثة بالسكاكيني، 1939، ص: 36.
- 10- تراجم خطاطي بغداد، وليد الأعظمي، دار القلم، بيروت، ط 1، 1977، ص: 64، 65.
- 11- ينظر: الخط العربي، عفيف بمنسي، ار الفكر، ط 1، دمشق، 1984، ص: 57.
- 12- ينظر: تاريخ الخط العربي، وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط، ص: 117.
- 13- ينظر: تاريخ الخط العربي وآدابه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي الخطاط، ص: 41.
- 14- الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، عمر آبا ومحمد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ط 1، ص: 13.
- 15- ينظر: الخط المغربي تاريخ وواقع وآفاق، عمر آبا ومحمد المغراوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2007، ط 1، ص: 36.